تجليات في أمسية (تهليلة) السورية في المهرجان الصوفي

تجليات في أمسية (تهليلة) السورية في المهرجان الصوفي

تاريخ النشر : الخميس 12:00 14-10-2010

عمان - محمد جميل خضر - مستندة إلى تراث مديني حضاري عريق، انبثقت فرقة «تهليلة» السورية للإنشاد الصوفي، مثل براعم صحوة روحانية ألِقَةٍ. وتاقت في أمسيتها الوضاءة بالنور مساء أول من امس على المسرح الرئيسي في المركز الثقافي الملكي، في اليوم قبل الأخير من فعاليات الدورة الثالثة من «مهرجان الموسيقى والغناء الصوفي»، إلى لحظة كمال متوهجة العناصر.

«تهليلة» التي استهل منشدها الاستثنائي عمر الزهوري، ليلتها المباركة بآي من الذكر الحكيم، طافت بأناشيدها الدينية، وأغانيها الصوفية، وموشحاتها وقدودها، وأنغامها البكر، وأصوات منشديها المحلقة في مساء من شجن، بين رياض الكلم الطيب، وغرفت من حدائق الوجد، وبساتين اليقين. وغنت وعزفت وتجلت، ودنت فتدلت، وفعلت ما يفعله الراسخون في حقلهم، الواثقون من فنهم، العارفون بأصول صنعتهم، وحدود تميزهم وتفوقهم.

قاد مشرف الفرقة وصاحب فكرة إنشائها، وعازف الرّق فيها، بحزم حنون، مراحل نجاح أمسية الصبابة والدروشة وصولا إلى مراتب توحد لامست النجوم.

روعة ما فعلته «تهليلة» لم يتوقف عند العزف والغناء وحسن الأداء، بل امتد ليصل لحظة الدوران المتزن الأبدي الجليل حول مركز الدائرة والمعنى، ومعانقة شعاع النور وقبس البهاء، من خلال رقصات اثنين من أعضائها، ودورانهما المتقن وقد نشرا أردية البياض الخالص في فراغ الكون، وتركا لخفة جسديهما أن تتصاعد حتى بلوغ لحظة التوحد والتجلي القصوى على تراجيع مفردات من مثل «الله.. الله»، ومقاطع من مثل «مولاي صلي وسلم دائماً على حبيبك خير الخلق كلهم».

«تهليلة» استفادت في فقرات أمسيتها أول من أمس التي حضرها وزير الثقافة نبيه شقم كما فعل مع باقي فعاليات المهرجان، وجمهور طيّب العدد وكبير التفاعل، من تراث سيد

درويش، وتراث صباح فخري، ومن كل تراث يتقاطع مع المعنى، وينحاز للجمال الفني الإنساني الخلاق.
التنويع في المقامات وطبقات الصوت وتلوينات الأداء، ولحظات الدخول ودرجاته، ومشارف الخروج، والتعريب والتحسين والتجويد بأكثر مستوياته أستاذية، شكّلت بمجموعها سمات أساسية في أمسية «تهليلة» التي تكونت من منشد وأربعة مرددين وعازفي ناي وقانون (محمد الأطرش) وعود (خالد رزق) ودف وراقصيْن على الطريقة المولوية (طريقة دروشة ترجع أصولها إلى تركيا).
مساحة للتأمّل والذوبان الصوفي قدمها دراويش فرقة تهليلة للإنشاد الصوفي، واستعرضوا من خلال دورانهم العائم في فضاء روحي، ممكنات الجسد، ونسجوا من تهليلهم وتسبيحم وإنشادهم بقعة بيضاء نشرت طاقةً تعاظمت مع حركات الراقصين، فرسموا بحركة لا تتوقف، دائرةً تنشد الاكتمال.
ومع المنشدين والموسيقيين حُبست الأنفاس وانخطفت القلوب في تهاليل جاورت السماء.
تتبنى فرقة «تهليلة» للإنشاد الصوفي والتعابير الروحية، المدرسة الصوفية الرفاعيّة والشاذليّة وهي من الطرق الصوفيّة الشائعة في بلاد الشام.
وهي تبدأ طقوسها عادة بالفاتحة الجماعية والتلاوة القرآنية والموشّح والتقاسيم والتغريد وسماع الرصد، مع مُنشدها الأستاذ عمر الزهوري بإشراف هشام الخطيب وتعمل الفرقة من خلال مؤسسة «تهليلة للإنتاج الصوفي والأندلسي» التي تتبع منهج كبير المنشدين في دمشق الشيخ حمزة شكور. وتحرص الفرقة على رفع مستوى الإنشاد الديني في العالم الإسلامي في سبيل إرساء المحبة والإنسانية وتعميق الإخاء الإسلامي المسيحي، عبر تقديمها الحفلات والمهرجانات التي تعنى بالطقوس الصوفيّة، مثل عروض الدراويش المولوية بطابعها الصوفي، والاهتمام بالموسيقى العربية والأندلسية.
جالت «تهليلة» عواصم عربية وعالمية قدّمت فيها فنّها الراقي، فحلّت ضيفة على أعرق المسارح في العالم مثل «تياتر دو لا فيل» في باريس و»مسرح كوين إليزابيت» في لندن و»مسرح ثقافات العالم» في أمستردام و مسرح «غراند هول» في نيويورك، ومسارح عربية كبيرة في الدار البيضاء ومراكش وبعلبك وغيرها.
ولأول مرة تحل «تهليلة» ضيفة على الأردن عبر «مهرجان الموسيقى الغناء الصوفي الثالث»، حاملة إرثاً عربياً غنياً بكثير من النفائس تصونه بجلال وإكبار، ناقلة حنيناً ملحّاً إلى الأصالة وعَودة إلى تاريخ يعبق بصوَر باتت نادرة.
واستضافت الدورة الثالثة من «مهرجان الموسيقى والغناء الصوفي» التي نظمها المنتدى الأردني للموسيقا بالتعاون مع وزارة الثقافة ودعم أمانة عمان الكبرى وجهات أخرى، فرقاً من

الباكستان والكويت والهند وسوريا، إضافة لاستضافته الفنانة اللبنانية رنين الشعار التي أحيت مع الفنان الأردني د. أيمن تيسير مدير المهرجان الليلة الأخيرة من دورته الثالثة.